مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب
Issn:2572-0058/E-issn:1969-2676
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/485

المجلد: 09العدد: 02 جوان (2025) ص 454/ 463

جماليات الإبداع الفني في قصيدة الهايكو "عاشور فني أنموذجا"

Aesthetics of Artistic Creativity in the Haiku poeml ''Achour fenny as a model''

بشرى خديجي*
مخبر أطلس الثقافة الشعبية الجزائر 2،
جامعة امحمد بوقرة/ بومرداس (الجزائر)
b.khadiji@univ-boumerdes.dz

أ.د فتيحة شفيري
جامعة امحمد بوقرة/ بومرداس
(الجزائر)
f.chefiri@univ-boumerdes.dz

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
2023/02/17
تاريخ القبول:
2025/01/20

الكلمات المفتاحية:
- ✓ التخييل:
- ✓ الجمالية:
- ✓ قصيدة الهايكو
- ✓ المعاصرة

الملخص:

إذا كان الخطاب الشعري الجزائري قبل الهايكو قد تمكّن من إثبات قدرته على احتواء مواضيع تُلامس واقع الشاعر، وتَكمُن في عمق مواقفه ورؤاه الأدبية، فإن الأقلام التي خطّت قصيدة الهايكو عبّرت أيضا عن تلك الموضوعات، وصاغتها بشكل شعري مكثّف ودلالي.

انطلاقا من موضوعات قصيدة الهايكو التي اتّخذت موقفا صارما تجاه التخييل الشعري السالف، نقف عند الشاعر الجزائري عاشور فني، لمعرفة مدى قدرة كتاباته على تجاوز فخّ المجاز والتقليد؟ هل لا تزال حبيسة الشعر الثلاثي والكلاسيكية؟ وإن كان على النقيض فما هي معايير الجمالية في أعماله التي حملت لواء الهايكو في الجزائر؟

Article info

Received *27/02/2025*
Accepted *20/01/2025*

Abstract:

If the Algerian poetic discourse, in its agreed-upon concept across the various historical periods, was able to prove its ability to contain topics that touch the poet's reality, and lie in the depth of his

*المؤلف المرسل

positions and literary visions, then the pens that wrote the haiku poem also expressed those topics, and formulated them in an intense and semantic poetic form.

. Based on the topics of the haiku poem, which took a strict stance towards the aforementioned poetic imagination, we stop at the Algerian poet achour fanny in his book "Honalika Bayna Ghiyebayen Yahdetho an Naltaki", in order to answer the following question: was what Ashour Fanny wrote that is included in the so-called haiku able to overcome the trap of metaphor? And imitation? Or is he still imprisoned in triple poetry and classicism, and if it is on the contrary, then what are the standards of poetry in his collection, which carried the banner of haiku in Algeria?

Keywords:
- ✓ *Imagination:*
- ✓ *aesthetic*
- ✓ *Haiku poem*
- ✓ *Contemporary*

. مقدمة:

عرف الشعر العربي المعاصر تحوُّلا ملحوظا شكلا ومضمونا، متتبّعا الحركة الأدبية الغربية، ما أدى إلى تجلي أشكال شِعريّة جديدة في الساحة الفنية العربية والجزائرية متجاوزة بذلك كل ما هو كلاسيكي سواء من حيث الشكل العمودي الذي قام على وحدة القافية والروي والموسيقى اللافتة، أو المواضيع السائدة في تلك الفترة فلم تعُد القصيدة حبيسة المعاني والمواضيع الظاهرة من تلك القراءة السطحية، بل تجاوزت ذلك إلى المُضمر والمتواري من الدلالات مرورا بقصيدة التفعيلة والنثر إلى حركة مغايرة، أسّست للومضة، ومن ثم شعر الهايكو، وذلك في مختلف بقاع البلدان العربية وصولا إلى الجزائر بقيادة عاشور فني، الذي لطالما بحث عن نوع أدبي مختزل الألفاظ، بسيط اللغة، عميق الكيان وكثيف المعنى يُعبّر عن مختلف القضايا الوجودية، والفلسفية للشاعر الهارب من إحساس لازم ذاته في عالم خال من المثالية التي يسعى إليها، فتولّد عن ذلك هذا النوع من الكتابات المخالفة لكل نوع سابق، فن شعري جديد يحكي عن لحظات الشاعر الآنية فيخلق تفاعلا بين مبدع النص والمتلقي ما دام الموضوع المعالج موضوعا لا يمسّ فردا بعينه، وإنما يرصُد قصص الجماعات الإنسانية على اختلاف الأعراق، والأجناس، والطوائف، والألوان.

وبما أن قصيدة الهايكو امتازت بالبساطة اللغوية، وتجنُّب البيان والإطناب فإننا في هذه الدراسة نسعى للوقوف عند أهم المكونات التي حقّقت لها الجمالية الشعرية المنشودة، بغية استيعاب ما إن كانت أعمال عاشور فني وصلت للمستوى الذي يُبرهن على جماليتها وتجاوز السابق من المعايير الشعرية؟ ارتكازا على المنهجية التالية: أولا: مقدمة عن الموضوع، ثانيا: قصيدة الهايكو وأصل النشأة (ـ التأسيس لقصيدة الهايكو اليابانية ـ مفهوم قصيدة الهايكو ـ الهايكو العربي والجزائري)، ثالثا: شعرية الهايكو عند عاشور فني (ـ فنّية الدهشة والاستثارة، ـ بلاغة الإيجاز والاقتصاد اللغوي، ـ التأثيف الدلالي). رابعا: الخاتمة، متخذين من المقاربة التأويلية أحد أهم الإجراءات التي تساعدنا على تنظيم الدراسة.

2. قصيدة الهايكو/ أصل النشأة

اعتاد العرب بفضل المثاقفة والترجمة، والتفّتح على الغرب على تقبُل مختلف الأنواع الأدبية الدخيلة وخاصة منها الشعرية، وعلى رأسها قصيدة التفعيلة والنثر والومضة والتي من أعلامها: أدونيس، والسّياب، ونازك الملائكة، ويوسف الخال... وغيرهم.

وقد بلغ تأثّر العرب بالغرب ومحاكاتهم أشُدّه فأضافوا بذلك قصيدة الهايكو إلى الساحة الأدبية العربية، ما يتيح لنا فرصة الوقوف عندها لاستجلاب موطن النشأة وظروف ميلادها، كونها "شعر ياباني عريق، ظهر في سياق خاص، وتبلور عبر مسار زمني ممتد، واستطاع أن يقتحم آدابا وثقافات كثيرة، وأن يستقطب كُتّابا وجمهورا عريضا منذ منتصف القرن العشرين خاصة. وهو- وإن تلون واصطبغ بجملة من خواص البيئات الثقافية التي ولجها- إلا أنه ظلّ محافظا على عدد من ميزاته الأصيلة. ولم يكن أدبنا المعاصر الذي انفتح منذ عقود بعيدة على آداب وثقافات شتّى، في الغرب كما في الشرق، بمنأى عن التأثر بهذه الموجة الشعرية اليابانية التي تُقدم نفسها اليوم.."(أمضغش). فتكون محفلا أدبيا مائزا عند النقاد المعاصرين.

1.2التأسيس لقصيدة الهايكو اليابانية:

يعود ميلاد شعر الهايكو حسب ما أورده الباحثون إلى القرن السادس عشر، وهي امتداد لما يُسمى بقصيدة الرينغاRenga التي تُعدّ "نوعا من اللعب الشعري الجماعي، كان يتداول على نظمه شاعران فأكثر يبدأ الأول بمطلع شعري من سبعة عشر مقطعا صوتيا تُسمّى الهوكو، أي مطلع القصيدة، فيما يعمل الشاعر الوصيف على نظم البيت التالي على نفس المنوال وهكذا دواليك حتى تتَّخِذ القصيدة شكلا و قواما"(الجموسي، 2015، صفحة 4)، غير أنّ الهايكو خالفت الرينغا في حجمها وطولها، فيما تُعرف الهايكو بتكثيفها الدلالي وقصرها.

وقد ظهرت على يد الياباني (ماتسو باتشو) رائد الهايكو وحامل لواءها الذي تبعه الكثيرون ومنهم: (الشاعر بوسون، والشاعر موزاكا شيكي ... وغيرهما)، ويُعدُّ "باتشو ماتشو" أوّل من كتب في الهايكو وذلك بعد كتابته الرنغا بمدة ليست بالطويلة، فكانت انطلاقته بمثابة انبلاج فجر جديد، وعلى حدّ تعبيره فقد مثّلت له المناطق الريفية أحد أهم المراجع التأملية التي أثّثت لكتابة الهايكو،فيما نقله أحد الدارسين:"لم أسع للهروب إلى الجبال والحقول من مُنطلق حب الهدوء والوحدة، أنا ببساطة مثل الشخص الذي يمرض ويجد أنه من المُمِل أن يكون مع الناس ويُدير ظهره للعالم. عندما أنظر للوراء عبر السنين، أتذكّر بشكل مؤلم أوجُه الخلل لدي، ذات مرة كنت أطمع في منصب عام مع حِيازة الأرض، في وقت آخر قرّرت أن أتابع مسيرتي في الكهنوت، لكن لم أفعل ورغِبتُ في التقاط جمال الطيور والوحوش، جرفتني السُّحب والرياح العائمة. لفترة كانت تلك حياتي وحدها، الآن في النهاية أتشبّثُ.. بهذا الخيط الوحيد: فن الشعر") القاسم(، الذي لطالما كان بمثابة المنجي من عوالم مُشوّهة ومُحرّفة تؤدي إلى تشويه الجوف الإنساني النظيف.

وقد حملت قصيدة الهايكو في أصلها الياباني دفقة شعورية مُكوّنة من سبعة عشر مقطعا صوتيا، نظرا لطبيعة اللغة اليابانية التي "تتكوّن من مقاطع وليس حروفا كما في لُغتِنا العربية ونُظر في نهاية المطاف إلى هذه الأبيات الانطباعية القليلة المُؤلّفة من سبعة عشرا مقطعا، على أنها أسلوب تعبيري كامل بذاته، وهكذا وُلدت قصيدة الهايكاي-هوكو، أو الهايكو Haiku اختصار لكلمة (الهايكاي-هوكو)"(عفيفي، 2018، الصفحات 20-21)، الذي أتى به أحد الشعراء الذين برزوا في هذا المجال واستُحسِن من طرف البقية.

أما مصطلح الهايكو فهو حديث النشأة ظهر سنة 1892، وكما أن حركة التغيير مسّت كل جوانب الساحة الأدبية فقد وصلت إلى قصيدة الهايكو، إذ لم يلتزم الشعراء بعدد المقاطع الصوتية التي كانت من أهم السمات التي ظهرت مع تلكم الأخيرة، ويُعد "أوزاكي أوساي (1885-1926) من الذين ساروا على هذا المنهاج.

يختلف المقطع الصوتي في الفن الهايكاوي من شاعر لآخر، ومن لغة إلى أخرى، غير أنّها تتوحّدُ في كونها تعني الوحدة الإيقاعية ف "أساس المقطع الصوتي هو وجود صائت واحد (حركة)، وهذا الصائت يُمثِّل في جانبه النطقي نبضة صدرية واحدة... والتي تتمثل دفعة واحدة من الهواء اللازم للنطق بمجموعة من الأصوات فيها صائت أو واحدة وتُعَدّ هذه الحركة مركزا للمقطع

أو نواتا له ساكنة (صوامت)، وتقوم كل لغة باختيار الطريقة التي تناسب نظامها الفونولوجي في تشكيل سلاسل السواكن حول الحركة نواة المقطع"(برباق، 2016، صفحة 184)،وهكذا يتشكّل المقطع الصوتي من البداية حتى النهاية بما يتوافق واللغة التي نُسِجت وفقها القصيدة، ولكن الأمر الذي لا يجب إهماله هو أن قصيدة الهايكو اليابانية حينما تُترجم تختل المقاطع الصوتية، وذلك يعود لصعوبة ترجمة الشعر لما يحمله من خصوصية جمالية مخالفة للأجناس الأخرى.

و لأنّ الشعرية العربية المعاصرة تكتسِب قيمتها العُليا بتفتحها على الثقافات الأخرى،فهي لم تبق بمنأى عن التأثُّر بهذه الحركة الشعرية اليابانية الجديدة، فالأدب يتعايش مع مختلف الأزمنة والأمكنة وهو الحال عند هذا النوع الذي احتل مكانته الإنسانية كونه نتاج التجارب الواقعية، وهو قطعة من المجتمع والروح الإنسانية، وقبل التطرُّق للهايكو في العالم العربي والجزائري لابد والتعرف على مفهومه والمقصود منه كجنس أدبي معاصر.

2.2 المفهوم والمصطلح

يُعرِّفها (عبد الله الأسمري)فيقول هي: "قصيدة قصيرة تُمثِّل لحظة التنوير التي تسمى ساتوري لدى اليابانيين، تحاول التعبير عن البهاء الكامن الموجود في الحياة ويَحضُر فيها جلال الطبيعة والمظهر العابر للإنسان ومشاهداته الحسية والبصرية المشهدية حسب تماهي الشاعر مع الطبيعة والذوبان فيها والقبض على اللحظة، وتتكوّن من مقاطع صوتية... وهي تعتمد على التكثيف والاختزال اللفظي بعيدة عن المحسنات البديعية والمجاز بمعنى التحرر من أثقال البيان"(الأسمري، 2022) فتكون نوعا شِعريا بسيطا ومُكثّفا، واقعية بعيدة عن العالم التخييلي الذي يمتاز بكثرة البيان والبديع، كما أنّ الشاعر في هذا النوع مُتعلّق بالطبيعة وهي مصدرا أوليا لهذا الإبداع الفني الذي يختزل قصصا واقعية في مقطوعة شعرية قصيرة جدا.

أمّا الكاتبة العراقية بشرى البستاني فتقول بأنها: "لحظة جمالية، لا زمنية في قصيدة مُصغّرة موجزة ومُكثّفة تُحفِّز المُخيّلة على البحث عن دلالاتها، وتُعبِّر عن المألوف بشكل غير مألوف، عبر التقاط مشهد حسي، طبيعي أو إنساني، ينطلق من حدس ورؤيا مفتوحة تتّسِع لمخاطبة الإنسان في كل مكان من خلال ومضة تأمُّلية صوفية هاربة من عالم مادي ثقيل محدود ضاق بأهله حتى تركهم في اقتتال ومعاناة"(أمضغش)، يتجلى من خلال التعريفين أنّ الناقدين يتفقان في وضع مجموعة من الخصائص والأُسُس التي تنبني عليها قصيدة الهايكو، من أهمها الاقتصاد في الكلام، والتكثيف في الدلالات، مع ضرورة الانطلاق من المشاهد الطبيعية التي تُمثّل جزءا من حياة الإنسان، بالإضافة إلى البساطة والمباشرة دون الخوض في البيان وما يحمله من صنعة لفظية تنقُل القارئ من الحقيقة إلى الخيال، وتبقى تعريفات الهايكو غير ثابتة نظرا لِتعدُّد الأزمنة والأمكنة واللغات.

3.2الهايكو العربي والجز ائري

تَعدّت قصيدة الهايكو الحدود اليابانية لتُعانق أقلاما لشعراء عرب شباب خاصة في السنوات الأخيرة من هذا القرن، وفي مختلف البلدان العربية وذلك بفضل مواقع التواصل الاجتماعية والرقمية، بالإضافة إلى الترجمة، هكذا برزت أسماء عدة في هذه الحركة التجديدية نذكر منها على سبيل التمثيل لا الحصر "عبد الستار البدراني وبشرى البستاني من العراق، ومحمود الرجبي من الأردن، أما حسن أبوديّة من فلسطين، وجمال الجزيري من مصر، وسامر زكريا وعدنان بغجاتي من سوريا، وسعيد بوكرامي وعبد القادر الجموسي من المغرب، وسارة مصمودي ومحمد أمين إدريس، وعاشور فني ومسعود حديبي ومعاشو قرور من الجزائر، وجمعة الفاخري من ليبيا..."(خليفة، 2019، الصفحات 420-421)، و ما هذه الأسماء إلا برهان استحواذ الهايكو على كثير من الأقلام العربية الخائضة في غمار تجربة جديدة، خالقة لنفسها محيطا غير مألوف، تتحدّ من خلاله آراء أدباء ونقاد عاشوا دورا يُستحال ثباتُه، نظرا لاستحالة ثبات وضع النصوص الإبداعية.

هكذا بدأت قصيدة الهايكو تنتشِرُ في الأوساط العربية وبرز ذلك من خلال نشاط المجلات، التي قامت بنشر الهايكو الياباني وترجمته إلى مختلف اللغات، فكان ذلك بمثابة المُحفّز للنقاد والكُتاّب العرب وسببا لتجميعهم عددا كبيرا من المنجزات الشعرية ترجمة وإبداعا، فاحتل بذلك الهايكو جزءا مُهِمًا من الشعرية العربية المعاصرة على الرغم من النقد اللاذع الذي صُوّب له شكلا ومضمونا.

وقد تأسّس أول نادي عربي للهايكو في المغرب بداية من 2019 باسم "نادي هايكوموروكو"، وقد نشط كثيرون في الساحة السورية مما أدّى إلى إنشاء نواد وجمعيات وصفحات إلكترونية تنشُر أعمال هؤلاء، وكما هو الحال في بداية ميلاد أي نوع أدبي جديد فقد تضاربت الآراء النقدية حول الهايكو، وتمّ رفضها من الكثيرين واعتبروها دخيلا على الذائقة العربية وحُجّتهم في ذلك أن العرب أهل الشعر وأشرافه، فكانت بالنسبة لهم مجرّد ثرثرات سخيفة، أما البعض منهم فرحّب بها معتبرا إياها جنسا منبثقا من واقعية الفرد العربي ومُعبّرا عن أحاسيسه.

أمّا في الساحة الفنية الجزائرية فقد خاض فيها شعراء آمنوا بضرورة التغيير والتجديد مواكبة للعصر، فالعمق الشعري عند هؤلاء هو أن تكتب بلغة تنحصر في بيت شعري واحد وبمعاني مكثفة وعميقة، لتتمرّد بذلك أسماء عدّة على النمطية المعتادة، فالشعراء في الجزائر هم أكثر من كتب في هذا النوع الشعري مع التّلاعب بسماته الجمالية التي قام عليها، ومن أهم الأسماء التي برزت نجد الشاعر فيصل الأحمر، ومعاّشو قرور ، أما عاشور فني فقد كان أوّل من كتب في الهايكو الجزائري " في ديوانه "أعراس الماء"، و "هنالك بين غيابين يحدث أن نلتقي" الصادر 2007.

لطالما بحث عاشور فني عن لغة تُمكّنُه من التعبير عن أفكاره وأحاسيسه بعيدا عن قصيدة التفعيلة وقصيدة النثر، وقد ساعده في ذلك كل ما هو مرئي بالعين المجردة وهذا في نظره كان كافيا لإثراء تجربته الشعرية، يقول عاشور فني: "تقوم التجربة الشعرية في الهايكو على اكتشاف ما يعتمل في الذات في علاقتها بالكون واستبصار اللحظة الفاصلة التي يلتقي فيها الكوني بالذاتي، والأبدي بالآني والمجرد بالملموس والوعي بالطبيعة. تلك لحظة الهايكو، لحظة بسيطة عارية خالية من التقعر والوصف والتكلف اللغوي الفضفاض، لحظة الوعي الحاد بالعلاقة بين الذات والعالم من خلال تجلياته في الطبيعة، جمالية المباشر والحاضر والآني الغني ببساطته العميقة "فالهايكو هو ما يحدث هنا والآن"(فني، 2007، الصفحات 6-7)، فالهايكو هي اجتماع الثنائيات في لحظة واحدة يستشعر فيها الشاعر كل ما هو إنساني له علاقة بالكون في بساطته الخالية من الألوان الشعرية المعتادة، فالهايكو عند عاشور فني لحظة روحانية فلسفية ممتزجة بمكونات الطبيعة التي إذا ما تمعّنا فيها نجد أن الأديب يكاد يكون جزءا منها لا مجرد ناقل للمشاهد.

الشعر بمختلف أشكاله كان لابد أن يحمل في طيّاته تقنيات جمالية من أهمها بساطة اللغة التي توهم القارئ بأنها مجرد كلمات على ورق، ولكنها عكس ذلك بحيث ينكشف للمتأمل ذلك الكون الشعري الفسيح، وضيق العبارات مع اتّساع الرؤيا والدلالة، كما لا نغفل عن البساطة والآنية، أما بالنسبة لاستثارة القارئ وإدهاشه فهي من أهم التقنيات التي تنبني عليها شعرية الهايكو وهذا ما سنستنبطه من ديوان هنالك بين غيابين يحدث أن نلتقي للشاعر عاشور فني.

3.شعرية الهايكو عند عاشور فني

استطاعت قصيدة الهايكو بفضل ما يميّزها عن غيرها من الأنواع الشعرية المعاصرة، اختزال واختصار عمرا طويلا، وحكايات متعددة بتعدد الأيام والمواقف، والظروف والأزمنة والأمكنة التي يمر بها صاحب النص، إذ يُصوّر لنا الشاعر عبر الأسطر القليلة واقعا تتفاعل فيه الطبيعة بالأحاسيس، والسكون بالحركة، والرؤية بالتأمل وحسن قراءة كل ما تبُثُّه كاميرا العين المجردة، لتقترب فيما بعد من المتلقي الذي يعيش في زمن السرعة والمواقع الالكترونية، ففي نظر المتلقي أن زمن السرعة

والعجلة يحتاج إلى نص قصير، وألفاظ بعيدة عن البيان والتعقيد، ألفاظ تكاد تكون لغة اليومي ولغة العامة التي توحي إلى عمق تجارب الجماعات الإنسانية، كما يحتاج إلى أسلوب الإثارة الذي يُساعد على تعبيد طريقه وهو يقوم بمحاولة استخلاص دلالات عميقة، كل هذه الميزات توفّرت في قصيدة الهايكو مع بعض التغيير الذي تُلِحُّ عليه الضرورة اللغوية والبنية الكلامية، ما يستدعي طرح سؤال مهم جدا: هل ستظل الهايكو بفضل خصائصها نصا مصاحبا للقارئ أم أنه سيُخلق نوع جديد يتسبب في تراجع مكانة الهايكو عند القارئ والمنتج والناقد على السواء؟

1.3مكامِن الجذب والإثارة:

إن "القصيدة التي تنبع من قرار الذات وتخُطّها الحواس هي الأصدق، خصوصا إذا كانت حمولتها الجمالية في أقصى حالاتها"(الريشة، 2019، صفحة ص13)، وإذا كانت الحواس هي الآلية الأولى للتعبير عما يختلج في ذات المبدع، فإن الأمر لا يتوقف عند حدود تدوين ما يراه من مشاهد وصور وأحداث بل يحاول من خلال استعمال حسّه، وملكته الإبداعية خلق الدهشة لدى القارئ، وذلك عبر كسر أفق توقعه في اللحظة التي يعتقد أنه وصل إلى حقيقة الرسالة التي ينشدها صاحب النص، مما يجعله في حالة غرابة تقوده للبحث عن الحقيقة النصية كما في قصيدة "الربيع":

من أي ثقب

تسللت إلى قلبي

هذا العام"(فني، 2007، صفحة 15)

صوّرت لنا القصيدة مشهدا خياليا بقلم شاعر مولود من رحم الواقع الذي جعله يئن في استمرارية دائمة، فالربيع الذي يحاوره عاشور فني ليس مجرّد فصل من فصول السنة الميلادية بل هو إحساس افتقده بسبب ما يصادفه في يومياته من هموم وظروف صعبة، الربيع يمثل انبلاج حكاية جديدة، مليئة بالمسرات إذ الربيع في الغالب يمثل فصل حياة جديدة مورقة ومُخضرّة بعد ذلك الغيم الذي أرهق ذات شاعرنا، لذا فربيع عاشور فني في هذه القصيدة يمثل مفارقة شعرية صادمة للقارئ.

من خلال تشخيص الربيع ومساءلته عن سبب الزيارة المفاجأة، وغير المتوقعة النص يقود المتلقي لضرورة تأويل الدلالات الهايكاوية، التي تبرز الصراع النفسي للشاعر المستسلم، وعدم تقبله لما هو فيه، لذا جاءت القصيدة مكثّفة دلاليا تعكس شعور صاحبها، مُحرّضة على البحث في أسرار النص المجسّد لركن الدهشة التي تساعد على حيوية المتلقي، وأيضا أهم عوامل الترفيه، إذ المفارقة الشعرية في (من أي ثقب/ تسللت إلى قلبي) هي تأكيد على مأساوية غائبة حاضرة، وإضافة إلى ذلك فأسلوب المساءلة الصادم الذي انتهجه (عاشور فني) هو بمثابة المكون الأساسي لإثارة القارئ، و إدهاشه وهذا ما يستدعي حضور الجمالية لقصيدة الهايكو، والفجوة الشعرية في آن واحد.

أما في قصيدة "زهرة خبيزي" فقد عمِد إلى إثارة عقل القارئ من خلال تشكيله صورة الزهرة وهي وحيدة بلا رفيق ولا أنيس، وكأن كل الورود ذبلت ولم يبق سواها ينتظر لحظة اختناقها ومغادرتها ذلك المكان البائس، ولكن سرعان ما يأخذنا إلى صورة مباغتة كما هو ملاحظ:

"وحيدة

فاجأها همس الربيع

فأطلقت ألوانها على الربيع"(فني، 2007، صفحة 15)

قام عاشور بتشخيص الربيع وتشبيهه بالإنسان وذلك بنسب خاصية الهمس له وهي فعل إنساني لا يقوم به سواه، وبهذا كانت المفاجأة ومن جهة أخرى فإن قارئ النص يضع في ذهنه أن قصيدة الهايكو بعيدة عن البيان البلاغي غير أن المفاجأة تتعمّق في ذاته من خلال الاستعارة المكنية الموظّفة في (فأطلقت ألوانها على الربيع) ففعل الإطلاق ينتسب عادة إلى المسدس أو البندقية، ولكن الشاعر حذف المشبه به وترك أحد لوازمه وهو (أطلق)، وبذلك تتحول الزهرة من كائن مسالم يبعث في نفس من شمّها ولامسها الانتعاش والرغبة في الحياة إلى قاتل، وهذا ما يضفي على القصيدة جمالية الغموض باعتباره علامة فارقة اشتهر بها عاشور فني "فالتصريح ووضوح الذاتية عدوان من أعداء الفن، والجري وراء التعبير بالآهات والتعجب والأوصاف المباشرة يخرج بالعمل الشعري من نطاق الجمال ويجعله تقريريا ويذهب بأثره، ولا شكّ أنّ مراتب الشعر في دلالاته الإيحائية أو التصويرية كثيرة"(هلال، د. ت، صفحة 60)، وبهذا تبلغ القصيدة أوْجّها في الجمالية بفضل الإيحائية وعدم المغالاة في التصريحية من حيث الدلالات ، فيحدث انفعال شعوري في نفس القارئ جرّاء دهشته بعوالم النص،وهذا لا يمنعنا من القول بأننا نلاحظ أن قصيدة الهايكو عند عاشور فني تمرّدت على بعض خصائص الهايكو المُتمركز عليها بداية نشأته.

يقودنا التحليل السالف للقول أن المفارقة التي جمعت بين المتضادات كوّنت لعبة جمالية، وذلك بفضل الدلالات المتولدة عن الشعور الذي يُلازم الشاعر والمتلقي أثناء فعل الكتابة والقراءة، مما تتطلب قصيدة الهايكو قارئا نافذ البصيرة له القدرة على استحضار ما خفي خلف الألفاظ المقتصدة، كما أنه من الطبيعي أن يعمل المبدع على مفاجأة قارئه، فالدهشة هي أحد أهم أساسيات الشعر المعاصر وخاصة الهايكو، التي تكون بمثابة القلب النابض داخلها، وبمجرد التخلي عن عنها يختفي بريقها الشعري وتتحول إلى مجرد كلمات نثرية مجتمعة تحت عنوان معين.

2.3أسئلة الوجود في ضوء بلاغة الإيجازوالاقتصاد اللغوي:

أقرّت الدراسات النقدية المعاصرة المهتمة بقصيدة الهايكو أن آلية الإيجاز من بين أهم الآليات التي ترتكز عليها تلك الأخيرة، كونها ثورة ضد الإطناب الذي عدّته ثرثرة تصرف الشاعر والمتلقي عن عمق الدلالة، الأمر الذي جعل الأقلام التي تكتب في هذا المجال تُسهب في التكثيف الدلالي المعبّر عن فلسفات روحانية وجدانية، بدل التكثيف اللغوي الكاشف عن فجوات المبدع، وفي هذا تقول الدكتورة "حاجي هدى" أن: "قصيدة الهايكو العربية تمتاز بإيجازها وومضاتها الإيحائية، وسرعتها وتكثيفها وصورها الاستثنائية التي تستثير الوجدان"(حاجي، 2017، صفحة 68)، وقد اختار عاشور فني هذا الأسلوب المختزل في نسج قصائده الهايكاوي التأملية، التي توحي بالكثير من المضمرات المتوارية في كتاباته.

انطلاقا من قوله: "حاولت منذ وعيت هاجس الكتابة، امتلاك لغة تستجيب لحاجات التعبير عن مكابدة الذات لوجودها اليومي في بعده الأزلي: الانغماس فيما هو آني ملموس دون فقدان البعد الروحي والإنساني الشامل. لا يمكن للعقل أن يكون وحده سبيلا لعقل العالم واستبطان الذات.

ظلّت التجربة إذن هاجسي، واتجهت إلى تطوير لغة تستجيب لهذا الهاجس بعيدا عما شاع من ألفاظ وتعابير استهلكتها قصيدة التفعيلة والنثر معا، ساعدني هذا الاتجاه نحو البصري والحركي والآني، وكان ذلك هو طريقي إلى الهايكو"(فني، 2007، صفحة 06)، هذا ما بيّنته قصيدة "في المساء" المكونة من ثلاث أسطر لا تتجاوز 17 مقطعا، كاشفة عن عمق التجربة الإنسانية، والفلسفية التي عاشها عاشور فني كما هو منسوج بقلمه المعاصر:

"ما الذي حرّك أشجار المساء

هبّت الريح

وهبّت كل أسباب البكاء"(فني، 2007، صفحة 24)

لاشكّ أن الاقتصاد اللغوي والتكثيف الدلالي واضحان بدءا من العتبة النصية، فالقراءة النقدية التأملية العميقة تذهب بك إلى ما بين المشاهد والصور المكثّفة، فسؤال الشاعر عن سبب حركة الأشجار هو سؤال وجودي يدخله في عوالم أخرى، ويمثل له بؤرة العودة إلى زمن ماض وقعت فيه حوادث تستدعي البكاء بعاطفة وإحساس مرهف، وكأن قصيدة الهايكو هذه بأسلوبها اللغوي المقتصد كفيلة بأن تجعل ذاكرة الشاعر تعود به لزمن حزين وبائس غير مرغوب فيه، أو عكس ذلك تماما فهبوب الريح وتلك المشاهد التي تبدو مخيفة جعلته يستذكر زمنا جميلا يحنّ إليه، قصيدة لا تتجاوز البيت الشعري الواحد هي بمثابة بصيرة الشاعر، وليس مجرد بصر، ذلك أنه كلما اتّسعت الرؤيا ضاقت العبارات التي تُمكّن صاحبها من الوصف الدقيق والرؤية الصادقة، والمصالحة المطلقة مع النفس.

تُمثِّل القصيدة بوحا شعريا مكثّفا، وليس بهرجة لغوية فضفاضة، إنها شعور كامن في أعماق الشاعر تُولّد في لحظة آنية يضيع فيها الخيال والحلم، متخليا دون وعي عن الشروط التي سنّها اليابانيون في كثير من الأحيان، فالإيجاز اللفظي عند عاشور فني بوصفه أنموذجا عن الهايكيست يُبرهن عن عمق سبيله الفني المُنظّم والدقيق، كما يُبرهن عن وعي الشاعر الهايكيست بالواقع المأزوم والموبوء، إضافة إلى رغبته في التّأكيد على أن جمالية اللغة الشعرية لا تكمن في الإسهاب، والإطناب، ولا في تعقيدها، وزخرفتها.

3.3التكثيف الدلالي وو اقعية اللغة:

من الواضح أنّ ما تتميّز به قصيدة الهايكو هو التكثيف الدلالي الذي يتقاطع فيه الساكن بالمتحرّك، والوعي بالطبيعة، وهي في نتاجها ردا على الكلاسيكية ذلك القلب النابض في أقلام كل من آمن بالمقولة التي تؤكد على نقاء الحركة الشعرية و سكونيتها، استجابة لعصر التكنولوجيا والقراءة السريعة التي لابدّ لها من نصوص تعتمد تقنية الاختصار اللغوي، والإيجاز الذي يمنح القارئ تلك الدلالات المغيّبة والمحذوفة، ذلك أن "واقع حال الشعر المعاصر هو واقع الرفض للقيود والتحرر منها للبحث عن بديل للقصيدة القديمة فإن لجوء الكثير من الشعراء لهذا النمط إنما كان للتعبير وإن لمسنا تواجده في تراثنا العربي من خلال التوقيعات، غير أن حال القصيدة الوامضة المعاصرة راجع لما لها من تأثير نفسي نابع من محاولة الشاعر اكتناز أكثر الدلالات ضمن إطار ضيق..؛ إذ يُمكنهم من تحميلها الدلالات المختلفة دون اللجوء للتصريح بها؛ ولعلها- من وسائل إظهار تمكّن الشاعر وقدرته اللغوية الثقافية التي تبرز من كتابته لهذه القصيدة"(سعدون، 2012، صفحة 320)، كما يستخدم مبدع الهايكو تلك المقابلات والمفارقات التي تستحضر لحظات جمالية في ذهن المتلقي كما في قصيدة "القلب الكبير" :

"غرفتنا ضيقة

نعيش معا

كل في قلب الآخر"(فني، 2007، صفحة 42)

يبدو أن القصيدة مكثّفة تكثيفا مُحكما تَبرُز من خلاله براعة الشاعر في التقاط الصور، لقد استفاد الشاعر من واقعة حقيقية عاشها في زمن الفقر والقحط مع محبوبته المجهولة، فصوّر لنا تلك الغرفة الضيقة التي لا تسعهما (غرفتنا ضيقة)، في محاولة لاستحضار مفارقة تصدم المتلقي وتجعله يعيش حيرة آنية، تقوده للتّأمل مليا فيما يقرأه وبطبيعة الحال ستختلف

القراءات النقدية والتأويلات.. فكيف يمكن أن يعيش كلٌ منهما في قلب الآخر (نعيش معا/ كل في قلب الآخر)، هذه العبارة تفتح أفق التساؤلات اللامتناهية، فقد عهد المتلقي أن يعيش في بيت من حجر وجدران وأسقف، وهنا تتلاحم وتلتقي المشاعر المتناقضة التي تُثير الشفقة والرضا والطمأنينة وعدم المبالاة التي يعيشها أو عاشها الشاعر في زمن مضى في آن واحد، فهو لا يهتم للغرفة الضيقة، ولا للوضع الاجتماعي الذي يحيط به باعتبار أن لديه من يحبه ويُسكنه شِغاف قلبه، مُفترِشا له فراش المودة والاهتمام... استطاع عاشور فني أن يُلخِّص في قصيدة قصيرة جدا حياة طويلة مزجت بين عُسر الحالة الاجتماعية، وحُبًا يحتضِنُه وقت الضيق، فكانت القصيدة مُكثّفة معنى ودلالة صورت لنا جمال تلك اللحظات.

أما قصيدة "دماء":

"دماء تسيل على الأرض

والأرض

تجري في الدماء"(فني، 2007، صفحة 39)

فجاءت مُكثّفة تكثيفا مُحكما يُبرز براعة الشاعر في التقاط الصور، لقد استفاد من واقعة حقيقية عاشتها البلاد ألا وهي الثورة التحريرية التي خاضها الشعب الجزائري رجالا ونساء ضد المستعمر الغاشم المستعمر الذي دخل ضيفا ثقيلا ليسرق من راحة الجزائريين واطمئنانهم وسلامهم، ليهدي لهم بذلك كل أنواع الشتات والتفكك والحرمان من أبسط الحقوق، لتصبح أيامهم سوادا حالكا فالدماء التي تسيل على أرض الشاعر هي دماء الظلم والغدر والمعاناة، دماء القتل والتعذيب ومحاولة التهجير من البلاد واغتصاب سلامتها واطمئنانها، وليست دماء الخطأ الذي نتغاضى عنه ونهجر الثأر له، لقد وظّف الكاتب تقنية التناص مع حادثة تاريخية مُوثّقة في كل مكان وزمان، وها هو عاشور فني يُوثّقُها في نصوصه الشعرية كبرهان وتذكرة بمعاناة الوطن وأبناء الوطن الجزائري، هكذا صارت أرض الطهر وأرض الرجال والفرسان (تجري في الدماء) وكلها خوف تسبب فيه العدو الفرنسي، ومن باع وطنه من أجل بضعة دنانير أو بسبب الخيانة المتأصلة بدمه جينيا.

. خاتمة:

- استطاعت قصيدة الهايكو الجزائرية كجنس دخيل على الشعر العربي أن تحقّق مكانة مرموقة في الوسط العربي والجزائري المعاصر، من خلال خصائصها الجمالية المائزة لها والتي تمثّلت في بساطة ملفوظاتها اللغوية الملامسة للواقع اليومي وكثافتها الدلالية، فالشاعر يُساير عصره ويعبّر عنه بما يتوافق مع وقائعه.
- بالرغم من صدامية الآراء النقدية حول شرعية هذا الجنس الشعري الجديد، إلا أنه تمكَّن بفضل براعة الأقلام العربية و الجزائرية التي خطّت في هذا المجال تجاوُز ما هو سابق من أنواع كلاسيكية باتت لا تتناسب وتساؤلات الشاعر الوجودية.
- استطاعت قصيدة الهايكو فرض نفسها ضمن ما سبقها من الأنواع الشعرية عبر قوة العناصر التي ارتكزت عليها، وقد عُدَّ التعبير عن الواقع ومُجانبة الخيال أحد أهم الركائز التي ثبّتت شرعيتها في أدب ما بعد الحداثة، و ألقت بإلزامية جماليتها.
- مثّل عاشور فني أنموذجا حيا للأقلام الجزائرية التي برزت في شعر الهايكو، وقد بدى تمكنه من سماتها الفنية برغم تمرّده على بعض السمات التي ظهرت مع بداية نشأة الهايكو في اليابان، وهذا الأمر لا يمكن الحديث عنه فالاختلاف يحدث من لغة إلى لغة أخرى، ومن فترة زمنية لأخرى، ومن شاعر لأخر.

- يبقى الهايكو لون أدبي تحتضنه المواقع الإلكترونية أكثر ما يكون لون يخط على الورق، كما أنه نظرا لقربه الشاسع من لغة اليومي يليق بجنس النثر لا الشعر.

5. قائمة المراجع:

المؤلفات:

1 برباق ربيعة،2016، علم الأصوات، باتنة، الجزائر، دار قانة للنشر والتوزيع

2الجموسي عبد القادر، 2015، ترجمة مختارات من شعر الهايكو الياباني، د. بلد، دار كتابات جديدة للنشر الالكتروني

3 حاجي هدى، 2017، بين ضفتين، قصر النيل، القاهرة، دار العين للنشر

4 حلمي الريشة محمد، 2013، ديوان منثور فلفل على تويج وردة، تونس، دار الأمنية للنشر والتوزيع

5عفيفي سيد، د. سنة، ميلاد الجوري، الإسكندرية- مصر، النوارس للدعاية والنشر

6 غنيمي هلال محمد، د. سنة، قضايا معاصرة في الأدب والنقد، مصر، دار نهضة للطبع والنشر

7 فني عاشور، 2007، هنالك بين غيابين يحدث أن نلتقي، الجزائر، دار القصبة للنشر

المقالات:

9 خليفة عبد القادر، 2019، قصيدة الهايكو العربية والبحث عن شرعية شعرية، مجلة اللغة العربية، مج21، عدد44

8 سعدون فاطمة، 2012، جماليات قصيدة الومضة في ديوان (معراج السنونو) للشاعر أحمد عبد الكريم، مجلة المخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، عدد 8

مو اقع الانترنيت:

10 الأسمري عبد الله،" 2018، ما هي قصيدة الهايكو ؟، *http:// www.al-jazirah-com*، 2023/02/15، 16:30

11 أمضغش فريد، 2016، ما الهايكو ؟، *https.www. poetryletters.com*، 2023/02/15، 17:20